

فصلية اللسان المبين (بحوث في الأدب العربي)
(علمية محكمة)

السنة السابعة، المسلسل الجديد، العدد الثالث و العشرون ، ربيع ١٣٩٥، ص ٢٢-١

مظاهر أدب المقاومة في شعر بشرى البستاني*

سردار اصلائي، أستاذ مساعد بجامعة اصفهان

محسن غلامحسين كهوري، طالب ماجستير بجامعة اصفهان

الملخص

بشرى البستاني بوصفها أستاذة جامعية ومفكرة أدبية، إحدى الأدبيات الملتزمات اللواتي تركزن بصمة واضحة في الساحة الثقافية العراقية خصوصاً، والعربية بشكل عام. أثرت البستاني الأدب العربي إثراءً على صعيد أدب المقاومة بقيم تعبيرية وجمالية راقية، حيث أن قصائدها تحمل طابعاً إنسانياً ووجدانياً. عبّرت الشاعرة في شعرها عن معاناة أمتها بأسلوب عاطفي رائع من خلال "أزيز الرصاص و المتفجرات"، لتغدي عقولهم بمضامينها الفكرية وتشجعهم على ترك المخاوف واقتحام المصائب عند مواجهة العدوان. خاضت البستاني في قضايا الوطن الأم والأمة العربية ودبّحت جراحها بجراحهما لتعبّر عن حبّها لهما بشكل لا يخفى على القارئ المتبع، ممزوجة بالأوجاع، ومتشبتاً بالأمل والتفاؤل. إنّ هذه الدراسة بعد نظرة خاطفة على حياة الشاعرة بشرى البستاني، ركّزت حلّ اهتمامها على أهمّ مضامين أدب المقاومة في شعرها، التي كان لها حضور بارز كالحبّ للأرض الأم، والاستنهاض إلى المقاومة والحثّ على الجهاد، والالتزام القومي وحبّ البلدان العربية، والإشادة بالمقاتلين والشهداء، وإدانة الأنظمة الظالمة وحكام العرب. تجدر الإشارة بأنّ دراستنا هذه تقوم على دعامة المنهج الوصفي-التحليلي.

الكلمات الدلالية: بشرى البستاني، العراق، الأدب الملتزم، أدب المقاومة.

تاريخ القبول: ٩٤/٠٦/٠٣

* تاريخ الوصول: ٩٣/٠٩/٣١

عنوان بريد الكاتب الإلكتروني: sardareaslani@yahoo.com

١ - المقدمة

في الواقع أنّ عمر المقاومة «يكاد يناهز عمر الإنسان على الأرض (أول الخلق) أي منذ معركة هابيل وقابيل. مازال يرافق فعلُ المقاومة الإنسانَ بالفطرة منذ القدم حتّى الآن لِحُبِّ بقاءه على الحياة وتحرّره من الأضرار من أجل الحرية أمام القوى الشريرة التي تهدد إنسانية الإنسان وتعرّض كيانه للخطر.» (عبدالقادر، ٢٠٠٤: www.ofouq.com) إن الإنسان قد بدأ فعل المقاومة منذ سالف الأزمان باستخدام الأحجار وفروع الأشجار، ولكنه قد شعر بشقم هذه الآلات وعدم غنائها في مواجهة العدوان حينما أضيف على فهمه ومعرفته على كثر الدُّهور ونتيجة لهذا فأصبح كفاح الإنسان أكثر هدفاً واستنارةً ووعياً لأجل توظيفه العلم والإيدئولوجيا لأهدافه في حركة المجتمع نحو ما ينفع له، فطلب الإنسان المساعدة من وسيلة قاتلة أخرى واستخدمها كوسيلة أقوى لها أكثر فاعلية من قبل وهي لا تكون إلا اللسان. استخدم الإنسان اللسان بوصفه سلاحاً حاداً لإيصال معاناته وآلام الآخرين إلى آذان الأنام، وبالتالي سجّل انتصارات منيرة أمام قوى الشرّ والظلم، فنتيجة هذه الجهود، سببت ظهور مجموعة من أغانٍ، حظيت باسم جديد سُمّي بأدب المقاومة في حوزة الأدب والفنّ.

أدب المقاومة من نتاج الفكر، أنه يسلك في درب الالتزام ويقوم بدور الرفض في زمن استلاب الحرية واحتلال الأرض الأمّ. يقول غالي شكري في تعريف أدب المقاومة وهو: «يطلق على مجموعة من الآثار التي تقول عن القبائح والفجائع على الأصعدة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية بلغة أدبية. تُكتب هذه الآثار قبل حدوث المحنة حيناً، وبعضها أثناء "المعركة وبعد الهزيمة والنكسة حيناً آخر، وقد يؤرّخ للأزمة بعد انتهائها بوقت طويل أو قصير.» (شكري، ١٣٦٦: ١٠)

هناك ميزات وخصائص لأدب المقاومة، نرصدها إجمالاً عند أحد المحلّلين في التالي:

- ١- التبجيل بالشهيد، والشهداء، والمعاقين، والتضحية ٢- الوجه الإنساني العام ٣- التعبير عن الظلم والجرائم
- ٤- إحياء الأمل بالمستقبل وإعطاء الانتصار الموعود ٥- تبجيل بالحرية والتحرّر ٦- الإشادة بالأرض الأمّ ٧-
- ذكر عدم الهوية للمجتمع والمتشرّدين ٨- ذكر البطولات الوطنية والتاريخية ٩- ترسيم الوجوه المظلومة وذكر معاناة الناس.» (سنگرى، ١٣٨٣: ٤٦)

نستطيع القول إن المقاومة كانت إحدى حوافز الشعر ومصادره لدى العرب. فقد عرف العرب الأدب المقاوم منذ الجاهلية وكان الشعراء يستخدمونه في الدفاع عن قومهم وتسجيل مآثرهم ونشر محامدهم. لا نستطيع غموض العيون على دور الأدب المقاوم اليوم. أدب المقاومة وشعره بوجه خاص له مكانٌ رفيعٌ اليوم في البلدان العربية، لأجل مواجهتها أزمات وتحدياتٍ مختلفة. لا شك أن العراق يقع في البؤرة الرئيسية من هذه الدائرة. فقد تدوّقت الأمة العراقية من ويلات الإستعمار والديكتاتورية والحرب والاحتلال المرارات العديدة.

كان الاحتلال الأمريكي للأمة العراقية هزيمة كبيرة وسبب كسر ظهرها أكثر من قبل، وبالتالي هذه الويلة «دفعت الأمة العراقية إلى المطالبة بالتححرر والدعوة إلى الثورة لتخليص البلاد من الاحتلال، لأن الاحتلال عازٌّ لا يرضاه العراق، وبالتالي مع أول رصاصات المقاومة كانت أقلام النجباء من أدباء العراق قد احتشدت صفّاً واحداً في

خندق الكرامة لتسطر سفيراً مجيداً آخر من انتصارات الأمة على أعدائها حتى تعود المياه إلى مجاريها كما كانت من قبل وتمرّ المشاعر ضدّ المحتل الذي هيمن على مقدرات الوطن، ويذكر الناس بالذل والهوان، فبدأ الشعراء العراقيون يخاطبون أبناء العراق حتى يردّوا بالشعر ردّاً مفحماً أمام هذه الكوارث الفادحة.» (قاف العراق، ٢٠١١: www.kutab-iraq.net)

تعدّ بشرى البستاني من إحدى الأديبات الملتزمات بقضية الوطن التي تستشرف الآتي عبر شعرها وتستشعر الخطر المحدق بالأمة العراقية. إنّها ما زالت تدوّن لنا آثاراً ثرية على صعيد المقاومة بقيم تعبيرية وجمالية راقية وسط الظلام الدامس لترسم طريق الكفاح والنضال لأجيال الوطن. تعتبر البستاني ابنة جيل المرحلة الجديدة في الشعر المقاوم العراقي أي مرحلة الأمل والتفاعل والتمرد والثورة، فهي ترى وسط الظلام بصيص النور والأمل ومنذ أن ارتفع صوتها وهو يخلق في عالم الأمل والتفاؤل الثوري، لا يتردى أبداً إلى قاع اليأس القائم أو الهزيمة الساحقة.

لا يفوتنا هنا أن نشير إلى بعض الدراسات السابقة التي تناولت تجربة الشاعرة بشرى البستاني وهي: كتاب «سلطة الإبداع الأثوي في الخطاب النسوي، الشاعرة بشرى البستاني أمودجا- ٢٠١١م» لمحمود خليف خضير؛ وكتاب «جدلية الحضور والغياب في شعر بشرى البستاني- ٢٠١٠م» لإحلاص محمود عبد الله؛ وكتاب «ينابيع النص وجماليات التشكيل، قراءات في شعر بشرى البستاني- ٢٠١٢م» لخليل شكري هياس؛ وأطروحة «تداخل الفنون في شعر بشرى البستاني- ٢٠١٢م» في جامعة الموصل لفاتن غانم؛ ورسالة «بنية الإيقاع في شعر بشرى البستاني- ٢٠١٠م» في جامعة الموصل لشيماء سالم؛ ورسالة «الصورة الشعرية في شعر بشرى البستاني- ٢٠١٢م» في جامعة ديالى لنور القيسي؛ ومقال «قصيدة موسيقى عراقية، مقارنة إيقاعية- ٢٠١٠م» لمحمد البدراني؛ ومقال «قصيدة العراق للشاعرة بشرى البستاني، قراءة في جماليات التداخل العروضي- ٢٠٠٩م» قاسم محمود محمد، و... بالرغم من أنّ شعر المقاومة ومظاهره، حظي بدراسات كثيرة من قبل الدارسين الإيرانيين حتى الآن، إلا أنه يحتاج إلى التفات أكبر من جانب النقاد في حقل أدب المقاومة العراقي، لأن الدراسات الموجودة أغلبها قائمة على تناول أدب المقاومة الفلسطيني. ومع أن أعمال البستاني الشعرية تتمتع بدراسات كثيرة، إلا أن هذه الدراسات أكثرها تكون على صعيد الشكل والصورة، إذن فدراسنا هذه لا تدعي الإحاطة والشمول ولكننا نحسب أن القراءة التي بين أيدينا فهي غير مطروق بين الأبحاث الجامعية، وتبذل أن تجيب عن السؤال التالي:

ما هي أهمّ مظاهر أدب المقاومة الموجودة في شعر بشرى البستاني؟

٢- نبذة عن حياة الشاعرة وآثارها الأدبية

ولدت بشرى البستاني عام ١٩٥٠م في مدينة الموصل العراقية، في بيئة عشقت الدين والعلم والأدب؛ لذلك «كانت حياة الشاعرة منذ طفولتها مفعمة بالحيوية ومفتونة بكل ما هو جميل وحركي. عاشت البستاني في عائلة احتضنت طفلتها الواثبة الموهبة برعاية لافتة بعد موت أربعة أطفال من الأشقاء قبلها. إنّها تعلّمت المفاهيم القرآنية والأدعية من الأب والأم عندما كانت تقضي الأحلام الطفولية. دخلت بشرى روضة الأطفال في الرابعة من العمر وبعد ذلك أنهت تعليمها الابتدائي والثانوي في الموصل. حصلت البستاني على شهادة البكالوريوس من قسم اللغة العربية بكلية التربية في جامعة بغداد بدرجة الشرف، ونالت شهادتي الماجستير والدكتوراه من كلية الآداب في جامعة

الموصل بدرجة ممتاز مع التوصية بطبع الرسالة والأطروحة. تعمل البستاني أستاذة للأدب الحديث والنقد العربي وتحليل النص في كلية الآداب بجامعة الموصل من عام ١٩٨٥ حتى الآن بكل نشاطها المتواصل الذي لم يتوقف أبداً. « موقع الشاعرة على الإنترنت: www.bushra-albustani.4t.com »

«حازت البستاني أثناء حياتها العلمية العديد الكثير من الجوائز والأوسمة، منها وسام الأستاذ المتميز الأول على الاكاديمية العراقية عام ٢٠١٢م. كما شاركت خلال مشوارها العلمي والثقافي في أعمال أكثر من خمسين مؤتمراً علمياً وثقافياً وإبداعياً في العراق والبلدان العربية والعالم. بالإضافة إلى ذلك أشرفت البستاني على أكثر من ثلاثين أطروحة دكتوراه ورسالة ماجستير في الأدب والنقد وتحليل النص القرآني، وناقشت أكثر من مئة أطروحة دكتوراه وماجستير في اختصاصات مختلفة ودرّست أكثر من ستّ عشرة مادة في الأدب والنقد والمناهج النقدية في الدراسات العليا والباكالوريوس. ترأس البستاني حالياً تحرير سلسلة دراسات في اللغة والأدب والنقد التي تصدر عن مؤسسة السياب للطباعة والنشر والترجمة في لندن، كما ترأس تحرير مجلة حروف الالكترونية الصادرة عن المؤسسة نفسها في لندن.» (البستاني، ٢٠١٢: ٦٤٥)

أصدرت البستاني مجموعة كثيرة من الدواوين الشعرية والمؤلفات النقدية حتى الآن، ولكّنتنا ركزنا في دراستنا هذه على الأعمال الشعرية للشاعرة بشرى البستاني وهذه المجموعة تحتوي على تسعة دواوين على النحو التالي: «مخاطبات حواء- ٢٠١٠م»، «أندلسيات لجروح العراق- ٢٠١٠م»، «مواجه بآء عين- ٢٠١١م»، «مكابدات الشجر- ٢٠٠٢م»، «البحر يصطاد الضفاف- ٢٠٠٠م»، «أقبل كفّ العراق- ١٩٨٨م»، «زهر الحدائق- ١٩٨٤م»، «الأغنية والسكين- ١٩٧٦م»، «ما بعد الحزن- ١٩٧٣م»

٣- البستاني وأدب المقاومة

يمكننا القول أن الظروف القاهرة التي يمرّ بها العراق اليوم، جعلت الشاعرة مؤرّقة وتمنعها من التفكير بما سوى العراق، لذلك الشاعرة تلجأ إلى سلاح أكثر قوة وهو سلاح المقاومة بالفن والشعر في هذا الواقع المتأزم وفي عالم أحاط به الجبروت والدمار. إذاً فالمقاومة وثيقة متينة وسمّة واضحة في شعر البستاني، كما أنّها سمّة الشعر العراقي بشكل عام. القارئ المتتبع لإبداعات الشاعرة، يشعر تماماً بأنها تضع لمساتها على كل الفعل الانتفاضي والمقاومة والتحدي، فلا يخافها أزيّ الصواريخ ولا تثنيها عن الحياة جرائم الاحتلال، بل تبقى روحها صامدة أكثر من قبل أمام ما يتعلق بوطنها السليب، فنجد بالغازرة في شعر الشاعرة موكّدة على فعل المقاومة، فتقول في ديوانها الموسوم بـ"كتاب الوجد":

«وأنا أقاومُ الخطيئةُ،/ والمقاومةُ سرّي،/ وسفري،/ وسطوةُ انبعاثي.../ المقاومةُ سرّي،/ وسندي،/ وسعيرُ اللحظة التي تُمسكُ بجلايبِ/ استغاثتي أنْ تبوخ.../ وأنا أقاومُ.../ أقاومُ حزنًا مرًّا،/ حزنًا رصاصياً يهبُّ فوق صدري/ جبروتياً كصخور قلعةٍ آشورية.» (البستاني، ٢٠١٢، حماسية الحنة: ١٧٨)

في الواقع أن مظاهر المقاومة تظهر عند البستاني في إبداعاتها «لماضلة كلّ من يكره إقامة أعمدة الجمال في الحياة وإزاحة عوامل الظلمة المهددة بانسان عراقي وبشعبه ودحض عوامل القهر والاستلابات المتصدية لتقدمه وإعطاء روح التحدي والتفاني تلك قيم لا بدّ منها لبناء دروب العلا والمجد لهذا الوطن الغالي وإيقاظ القوى الإيجابية الخلاقة لمقاومة عوامل السلب وما ينجم عنها من هبوط وتداعيات وخراب لقضية الانسان وكرامة روحه. هذه المظاهر في شعر الشاعرة البستاني تضطرم وتشتدّ حالة وجود عدوان خارجي يتصد ب حياة وطن وشعب وأمة أي بعد الاحتلال للعراق ٢٠٠٣م على يد القوات الأمريكية وكل من تحالف معها الذين فسدوا في أرض المقدسات عاين.» (السامري، موقع الشاعرة على الإنترنت: www.dijl.aiq.com)

تظهر هذه المظاهر في شعر البستاني المقاوم بغزارة ولايسعنا المجال التطرق إليها ولذا اكتفينا بالوقوف عند أهمتها في شعر الشاعرة وهي:

٣-١ الحب للأرض الأم

قبل أن نأتي بنماذج شعرية من دلالة حبّ الوطن ومفهومها في ذاكرة بشري البستاني، لا بدّ من توضيح مفهوم الوطن عند القدماء والكشف عن المرجعية اللغوية له. الوطن لفظٌ يعود جذره اللغوي إلى (وَطَنَ)، فقد جاء في لسان العرب أنّ الوطن: «منزل تُقيم به، وهو منزل الانسان ومحلّه. أوطن فلان الأرض ووطنها واستوطنها أي اتخذها وطناً له... والموطن: المشهد من مشاهد الحرب وفي تنزيل العزيز: ﴿لقد نصرّكم الله في مواطن كثيرة﴾» (ابن منظور الأنصاري، ١٤١٤، ج ١٣: ٤٥١)

الوطن في نظر القدماء لا يتعدى الحي الذي يسكنونه أو أرض العشيرة موطن القبيلة، لكن مفهوم الوطن في عصرنا الحديث، أصبح أكثر اتساعاً وشمولاً، بحيث يشمل الوطن بأكمله الذي يسكنه أصحاب الأصل الواحد، والوطن عند المحدثين هو «بقعة من الأرض التي يعيش عليها أناس معينون، تربطهم روابط مشتركة. ووطن الإنسان مسقط رأسه، ومكان سكن أهله وأحبائه، سواء خيمة كان أم منزلاً. إنه المكان الذي أمضى فيه المرء طفولته حتّى ألفتته نفسه فصار كأنه جسد لها.» (عبد، ٢٠٠٧: ١٠١)

احتلّ المكان ودلالاته موقف الصدارة في أدب العرب منذ القدم حتّى الآن وأن شعر العرب بوجهه الخاص منذ طفولته اهتمّ بالمكان تماهياً ووصفاً وتمييزاً وتمجيداً. يمكننا القول أن وقوف الشاعر الجاهلي على الأطلال واستنكار دياره ومنازل المحبوبة نموذج بارز يدلّ على تعمق الشعراء بحبّ المكان واعتزازهم بالبيئة المحلية وتعلّقهم بأرض المقدسة. وفي العصر العباسي نجد الباحثي يركّز على البعد الجمالي للمكان في شعره، فقد صوّر في شعره عناصر الجمال الطبيعي وغير الطبيعي للحضارة العربية الإسلامية، كما أبرز أثر هذا الجمال في نفسه وفي من حوله،

ووظّف في تقديمه إلى المتلقي عناصر العمل الفني كلّها من صورة، ورمز، ولغة، وحوار (التميمي، ٢٠٠٢: ٢٢٥) ولا بأس أن نطلق على هذا كآله حبّ الأرض وحبّ الوطن، لذلك تعتبر الأمكنة «مصدراً هاماً للهويّة الفردية والجماعية وتشكل مركزاً توصل فيه العلاقات الودّيّة والنفسيّة بين الأنام.» (شكوي، ١٣٨٧: ٢٧٦)

«منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، دخلت الأرض معادلة جديدة في هموم العرب وذلك نتيجة للمطامع التي تعرضت لها الأرض العربية.» (أبو حافة، ١٩٧٩: ٦٣٨) يعدّ حبّ الوطن والوطنية من أبرز مظاهر المقاومة التي عني به شعراء المقاومة واحتفوا به بوصفه ضرباً من تمهيد الطريق للمقاومة والاستنهاض إليها في أرجاء العالم بشكل عام، و في الأراضي المحتلة بشكل خاص. ولا يمكن أن ننسب شاعراً لشعر المقاومة إلّا حين نجدّه محترقاً بوهج الوطن وحبّه، كما يقول محمد محفوظ: «لا يمكننا بأيّ من الأحوال أن نفصل مسألة الوطن والوطنية عمّا تشكّله هذه المسألة من عمق وجداني وشعور عاطفي يتصل بالجوانب المحمية لدى كل إنسان وتتناغم العاطفة مع الفعل لتشكّل حالة سامية من الحبّ فإنّ حبّ الوطن والدفاع عنه والحنين إليه جزء طبيعي من حياة الانسان.» (محفوظ، ٢٠٠٣: ٢١)

عُنت الشاعرة البستاني في أشعارها عناية فائقة بالأرض العراقية. لاشك أنّ الدارس لشعرها سينتبه لهذا الحضور الكبير لوطن العراق وأهله، أولئك الذين حرّموا حياة وراحوا ضحايا حروب وقتالات. يعتبر العراق عند الشاعرة مصدر خير ومكاناً للمأوى و«إثّه وطن استثنائي عند البستاني ولذلك كان حبّها له استثنائياً، لأنه وطن مسالم ومحّب معطاء مارس الطغاة ضده كلّ أنواع العدوان.» (الطائي، ٢٠١١: www.ahewar.org)، فالشاعرة تريد أن تكتب عن حبّها على الصخور حتّى تثبت لسنوات مديدة حيث تقول:

«وأكتب فوق صُخور العراق: / أحبّك... / أكتب لا أشتري غير هذا العذاب.» (البستاني، ٢٠١٢: ١٣٧)

لقد مزج حبّ ثرى العراق بلحم وعظم بشرى البستاني، وغزلان قلبها لا تحسّن الرعي إلّا في فضاء العراق، كأنّ الشاعرة مشدودةً إلى رَحَم العراق بحبل من نبض قلبها ولن تغادره حتّى لو جفّت آخر نبضة فيه. «سيدة القصيدة العراقية البستاني همّها الوطن وطهارة الأرض، تعيش احتراقاً وجدانياً وذاتياً تذوب في معاني ومفردات حبّ ثرى العراق وتعبر عن عشقها الدائم له.» (الطائي، ٢٠١٠: www.mosul-network.org)، فتقول:

«خُذني..... خُذني... / يا وطناً ينزفُ فيّ وأنزفُ فيه/ دتّرني بالصفصافِ، / وباليقطين...» (البستاني،

٢٣٥: ٢٠١٢)

حبّ الوطن عند شاعرة الأرض المحتلة البستاني كشجرة صنوبرية طويلة تضرب بجذورها إلى أعماق قلب الشاعرة فهو لا ينفصل عنها ولا ينفك منها، ولذلك وجدناها تتغني بهذا الحبّ وتعتر به، لأنه وطن خالد يلمح في

سماء العالم كنجم ثاقب ويضمّ في عروقه عبير وعرق العراقي المثار عبر أكثر من آلاف سنين غابرة، فتقول الشاعرة عن مدى حبّها عن أرض العراق:

«يتغلغلُ حُبُّكَ في قلبي./ كجذور صنوبريةٍ فرعاء./ يتفتّح حُبُّكَ في قلبي/ كنجوم الصيف البريّة/ يتمشّي عطرك فيّ/ كالليل الرطبِ بغابِ الورْد.» (المصدر نفسه: ٥٨٥)

لا يزال الشاعرة تهمّ بثرى وطنها وتحبّه، ويظهر هذا الحب أكثر وضوحاً في غضون الحرب والكفاح، فالشاعرة تتحمل الذلّ وتصبر على الهوان من خلال الحرب ولكنها تهمّ رغم كلّ ذلك (ليس سوى العراق). إذاً فالحبّ عند الشاعرة تزداد عندما ترى وطنها عُشّاً للمحتلّين، لذا يصير صوتها صوت غزالة أصيب بداء العطش فتهمّ في خضمّ الصواريخ، ولا يزال عطشها إلّا اسم العراق، فتقول:

«أمسكثُ جُدُرَ الأرض.. سيديتي.. تخذيني للينابيعِ القصيةِ/ لنُ أغادرُ،/ موحشٌ قمرُ البراري/ نرجسٌ عتي/ بأعماقِ الرصاصِ تلوبُ أغنيتي:/ عراقٌ،/ عراقٌ،/ ليس سوى عراقٍ.» (المصدر نفسه: ٣٠٢)

فلاحظنا في المقطع الشعري السابق جملة (لن أغادر)، وهذه ليست إلا الروح المسيطرة على الشاعرة، إنّها روح الصلاة الثورية والاستشهاد والإيمان القوي بقضية عراقية، روح الاستبسال الحقيقي الصادق، روح النضال ذي النفس الطويل الذي يحتمل الهزائم، لا يستسلم لها، وانما يقف على قدميه كلّ مرّة ليبدأ من جديد:

«يا وطني/ نبقي ويذهبونُ/ نبقي أنا وأنثُ/ دجلةُ لي والقلبُ لك.../ نبقي ويذهبونُ.» (المصدر نفسه:

(٢٣٨)

قد تنكّى الشاعرة لإيصال حبّها إلى أبناءها العراقيين على النزعة الرومانسية، لذا فإنّها في القصيدة المسماة بـ"البصرة" تعتمد على الرمز الطبيعي في التعبير عن حبّها للوطن. إذاً «الحبّ يفوح كشدى الرياحين والزند، والشاعرة لا تستطيع كتمانها مهما تحاول، وهي لا ترضي لهذا الوطن بديلاً بجنة الخلد ولنلحظ في حبّها من خلال الأقسام المكررة في المقطع الشعري التالي.» (حسن، ٢٠٠٧: ٥٠):

«وحقّ هواك أكنم منه أضعافَ/ الذي أبدي/ وحقّ هواك يطلّع منه في جسدي/ رياحيناً وأجنحةً،/ وأسراباً من الدوريّ والزند/ وأبكي مثلما تتجرّحُ الأشجارُ/ أصرحُ يا غبارَ الصيفِ،/ يا وحلّ الشتاءِ/ ويا عيونَ الفجرِ/ لا أعطي العراقَ بجنةِ الخلد.» (البستاني، ٢٠١٢: ٤٧١)

خلاصة القول أن الوطن والحبّ به عند الشاعرة البستاني محرّك رئيسي تمدّ به الشاعرة يدها إلى المساعدة في إبداعها الشعرية ويعدّ معين لانتضاب إنجازات الشاعرة بتواجده. لذا قضية الوطن هي قضية الشاعرة، وكجزء لا ينفصل عن روحها، وهو يعتبر كالأمّ الحنون والملجأ الأمين للشاعرة الذي تلوذ بها من وطأة حرّ الشمس. ففي

المقطع التالي نلاحظ التصوير النفسي الرائع الذي تقدمه الشاعرة لتجسيد حبّ الأرض وتعلقها بها، لذا تمنح الشاعرة الوطنَ بالدلالات الأنوثية ليظلّ الوطن صاحب الدفق والحياة والحيوية والخصب دوماً فتقول:

«هذي الأرض أمّ..... / قمرٌ وورْدٌ مطمئنٌ.. / والأرضُ طلُعُ قصيديّ الجذليّ / وقبضتها الأشدُّ.» (المصدر

نفسه: ٣٠٤)

٣-٢ الاستنهاض إلى المقاومة والحث على الجهاد

من المفاهيم التي دعا إليها الإسلام، ووطنٌ عليها المسلمون، الجهاد والمقاومة في سبيل الله، حيث جعله الله ذروة سنام الإسلام، بل وربط عزة الأمة به. تعدّ قيمة المقاومة والصمود من القضايا المهمة التي ركّز عليها القرآن الكريم، وحثّ المسلمين على الالتزام بها والآيات الدالة على ذلك كثيرة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (هود: ١١٣)

«يضمن أدب المقاومة في بطنه فعل الرفض وأنه أدب عارم يدعو مخاطبيه إلى القيام، والصمود، والتضحية؛ من هنا يعتبر النضال المستلهم روح المقاومة.» (سنكري، ١٣٨٩: ٦٥) لذلك نرى أكثر شعراء المقاومة الإسلامية تناولوا الحث على الجهاد والاستنهاض إلى المقاومة في قصائدهم وأكدوا عليه في أشعارهم لعلمهم بأن الصراع مع العدو الغاصب صراع إرادات وفقاً لنظرة الاسلام ونظراً لرؤية أدب المقاومة، وهذا ما أكّدت بقولها وعيّرت عنه الشاعرة بشرى البستاني في قصيدة تحمل عنوانها "حوار عراقي أمريكي":

«هذا بلدٌ آمن... / زرعوا فيه هليبا، / لكنّ ظلّ يقاوم.. / زرعوا فيه الحنظلّ، / لكنّ طلع النرجس.» (البستاني،

٢٠١٢: ٢٣١)

الوطن الذي ترى البستاني اليوم، ليس وطناً للرضى والقبول والدعة بالنسبة لها، بل إنّما هو الوطن الذي ذهب رونق شبابه وفقد مجده الحضاري الزاهر بكلّ جمال وانبهار، لذا هي تعتقد أن الطريق الوحيد أمام متابعة مجازر قوات المحتل واستباحتهم ووطنها هو طريق المقاومة والنضال المستلهم، لذلك «لا ينبغي أن نقف أمام الوطن صامتين قانعين ووطن الصمود في المواجهة والتحدي لكلّ ما يعصف به للانتقال إلى حالة أفضل، الوطن الأم والأب والأخت، ولا بد من الأخذ بأيديهم في أزمتهم ومعاناتهم إلى حيث النور والنور والحب والحياة.» (حسن، ٢٠٠٧: ٤٩) ومن قول الشاعرة في قصيدة "موسيقى عراقية" داعيةً ووطنها إلى الجهاد أمام العدو المحتلّ:

«يا أيها الوطنُ المكابِرُ.. / أشرقُ.. / فهذا الليلُ كافرٌ.. / أشرقُ.. / فهذا الصّدُ كافرٌ.» (البستاني، ٢٠١٢:

٣٦٥)

نجد أن الشاعرة تركز في مقارعة أعداء الوطن المحتلّ على ما دعت إليه العقيدة الإسلامية من عدم قبول الذلّ والاستكانة، وتعتقد أنّ سبيل الانتصار ليس مفروضاً بالورود، بل هو مجبول بالدماء والتضحيات، لذا تشجع أبناء شعبها على الجهاد في سبيل الله والحقّ أمام أكبر عدوّ غاشم في العالم و هو أميركا، وترى مستقبل وطنه مهطلاً بمطر الانتصار من خلال الاستيقاظ من الغفلة والنهوض من الجمود والقيام بمجرفة الجهاد:

«استيقظ يا وطني... / طال الإغماء... / فنبضك تحت السماعة كان سليم / أسمعته... / نبضك يومئ عن قلبٍ سوف يُفاجئهم / ينهضُ، يفتحُ شباك الأفق / ويعطي الموج إشارة / فتدوخ الرادارات، / وتضطربُ الممرات / يتساقط سربُ الطيّارات.» (المصدر نفسه: ٢٣٧)

قد تحترق دعوة الشاعرة آفاق سماء العراق وتصبح عالمية، فتحتّ كلّ فقراء العالم الذين لحقت بهم الفاقة من قبل أعداء الانسانية على الصمود والجهاد ويشترهم بإقامة رايات الخلود خلف الفعل الانتفاضي، فتقول:

«يا كلّ المحرومين التعبي / هزّوا النخلة تفتح خيمة وعد / هزّوا النخلة تُرفع راية الخلد.» (المصدر نفسه: ٥٨٥)

بشري البستاني بوصفها أستاذة جامعية وتعدّ من شرائح المثقفة العراقية، لذا ترى ما لا يرى الآخرون في غضون المقاومة. كما أشارت في المقطع الشعري السابق، إنّها ترى في الجهاد والمقاومة نِعماً أنعمها الله سبحانه على عباده، لأنّ مناضلة الغاصبين والالتزام به فعلٌ تفتح به خيمة الوعود الإلهية ويؤدي إلى الحياة الخالدة للمقاومين تحت راية النصر وأخيراً سيخلص هذه الأمة من حالة الذلّ والهوان. تقرّر الشاعرة من خلال تكرار فعل (هزّوا) لهذا البشري وهو حقيقة حتمية راية النصر الذي سيتحقق للمحرومين باستمرار الثورة والمقاومة، لذا نجد الشاعرة حزينة لأجل عدم تمكّنها من الحضور في جبهات المقاومة في سبيل الوطن، فاسمع الشاعرة كيف تشعّ روحها المقاومة من ثنايا شعرها:

«لو أُنّي أعرّف حمل السلاح / لو أنّك أهديتني بُندقية / لكنّك حميتُ حديقة قلبي / ولكنني يا رفيقي. / سقطتُ

شهيدةً حيّ. / بأولّ درب الكفاح.» (البستاني، ٢٠١٢: ٥٨٠)

وتظهر من خلال هذه الأبيات ملامح المقاومة في ذات الشاعرة، كأنّها تؤمن أن الطريق إلى الذود عن الوطن هو السلاح الذي اتخذته الشاعرة رمزاً له كلمة البندقية. تؤكد البستاني في القصيدة الأخرى الموسومة بـ "ورقات مشتعلة" على أن المقاومة بالرصاص هو الطريق الذي يرفع الظلم عن الشعب العراقي، ونفهمه ذلك عبر كلمة "أزكى" في قولها:

«أيا وطني المستريح على غيمة من رماذ .. / ستدرك حين ستمطرُ هذي الدقائق / أنّ الرصاصه أزكى.»

(المصدر نفسه: ٥٨٠)

قد نشعر روح الشاعرة الحزينة من ثنايا نصوصها، كأنها يائسة من مسلمي وطنها وواقعهم الراهن الذي دخلهم في متاهة الظلمة والاستسلام والخنوع للسيطرة الأجنبية حباً للدينا والانغماس في الملدّات على الرغم من أنهم يزددهرون في الماضي سبب موثّم البطولي، من هنا تذكر الشاعرة ماضي شعبها المزدهر لتحذيرهم من الخنوع للسلطويين وتحريضهم على المقاومة:

«فيا شجرًا لا يهادنُ، / يا شجرًا يستفزُّ الرياح / لماذا فتحتَ النوافذُ / والشمسُ داكنةٌ / والعيون قميئةٌ؟ .. / أنتَ عَلَّمْتَنِي أن أموتَ / كما ينبغي / وألبي الحياةَ / إذا انبلجتَ قبله.. / فلماذا ذهبْتَ وحليتي؟» (المصدر نفسه: ٣٢٢)

ونجد في مقطع آخر نفس المعنى:

«أُتضَّرِّعُ خلفَ السور: / لو أحدٌ يصرخُ في هذا الوطنِ المهجور. / لو يزحفُ، / يزحفُ هذا الشعبُ المهجور. / كي يسقطَ وجهُ المسخِّ. / كي يرفعَ من لجة هذي الناز». (البستاني، ٢٠١٢: ٥٧٦)

لقد لحقت قوات الاحتلال بالشعب العراقي شتى صنوف الجرائم، فلم يسلم من غزوهم أحد. إنهم حوّلوا أرض العراق إلى مقبرة بسبب ويلاتهم التدميرية. لم يستطع المبدعون العراقيون أن ينسوا هذه الجرائم البشعة، ويسبب دورهم الرائد، قاموا بتصوير متقلبات الظروف في شعرهم. عبّرت البستاني في شعرها عن هذه الجرائم بغزارة، حيث اختصّت قصائد عديدة على هذا المجال، ومن قولها:

«حفيدٌ هولاءِ / دماءٌ طفلةٌ، / صوتٌ.. مددٌ / جاؤوك في سفير الظلال مُجرّغونك بالظلام... / تكبّل دَم، دَمَن، ودمع». (المصدر نفسه: ٣٠١)

ومن هذا المقطع الشعري، نستنتج أن الشاعرة من تكرر ذكر الوقائع الناتجة عن الاحتلال في شعرها، تقصد استنهاض شعبها إلى المقاومة حتّى يصنعوا فجر الغد المشرق من جروحهم وآلامهم، من هنا الشاعرة تعتقد أن الجهاد والصمود هو الطريق الوحيد أمام جرائم الاحتلال:

«يا قمرَ الجبال.. / عرّج على السُفوح.. / فوجهك الأبهى.. / يطلع في الجروح / يا قمرَ المنفى.. / عرّج على الحقول.. / فوجهك الأبهى.. / يولد في البذور». (البستاني، ٢٠١٢: ٣٢١)

فالجهاد من منظار البستاني هو الحياة والنور، وهو الخلاص من العذابات والآلام، فهي تعلم أن الوطن بحاجة لبذل التضحيات الجسام وأن فجر الحرية يولد من رحم الجهاد. ولعلّ في استخدام الشاعرة لفعل (عرّج)، يدلّ على حرصها الشديد على طلب الجهاد. فمسألة الصمود محسومة عند الشاعرة وتوظيف الشاعرة «كلمة القمر (رمز

الخصب والقوة، والهيمنة والرأفة والحب) هو التعبير عن استشراف صباح جديد بعد نزيف الدم وبعثة الأمل والحيوية في أبناء شعبها (العراق) الذي يكابد جريماً. «شكري هياس، ٢٠١٢: ٢٥٢»
 وحصيلة القول إنّ روح الشاعرة تأبى فعل الخضوع والانقياد أمام كلّ ما ينتهي إلى أن إباحة دم البشرية، وبالتالي تسعى أن تغرس جذور الوعي في ذاكرة شعبها، وتدعوهم دعوة مستمرة للاستنهاض إلى الجهاد والمقاومة من خلال الموت المجيد ومعتمدة أن الحياة لا تولدها إلا الجروح.

٣-٣ الالتزام القومي وحبّ البلدان العربية

من المظاهر الأخرى التي برزت في شعر البستاني هي الالتزام القومي وحبّ البلاد العربية. ونستطيع القول أن الحبّ شموليّ بعيد الأمد الذي لا تستوعبه تخوم ولا حدود في الشاعرة؛ جعل الشاعرة ملتزمة بالمكابدات القومية والوطنية وجعل شعرها مخترقاً آفاق العراق والتخلّق في سماء البلاد العربية، من هنا نجد الشاعرة في شعرها لا تتعلق بأرض العراق فحسب، بل تنتمي إلى كلّ شبر من أرض الوطن العربي، حيث تقول في قصيدة "الأبواب":
 «إليك يدي امرأة من سفوح العراق، / تُضيغ بأودية الوطن العربي، / تُقاذفها الريح ما بين مكة والقدس / ما بين عمان والعسل المرّ / ما بين كلّ طقوس الخليج.» (البستاني، ٢٠١٢: ٥٦٢)

لقد عُتيت الشاعرة البستاني في شعرها عناية فائقة بالأرض العربية وتعتبر أرض العرب عندها مصدر خيرٍ ومكاناً منيراً تكتسب القوة منه، لذلك تحاول التوحد مع القمر العربي والتلاحم به. إنّها تعتقد أنّ قمر العراق لا يكتمل إلا بالتوحد مع الوطن العربي من المحيط إلى الخليج:

«عانقتُ الهلال، / وقلْتُ يوماً ما ستصبحُ كاملاً، / آه تقاسموا وجهي، / ولم أجزع ولكني رحلتُ، / رحلتُ في ليل العذاب لكي أراك، / أراك في عمان، / في ليل الجزيرة، / مرةً في العمر / يا قمرَ العراق!..» (المصدر نفسه: ٥٣٤)

كثيراً ما نجد في نصوص الشاعرة الإبداعية، «تحوّلات النص من الأنا إلى نحن، ومن الخاص إلى العام، من (بيتي) إلى (أرض العرب)، وهذا يدلّ على أن قضية البلاد العربية هي قضية الشاعرة، فالقضية واحدة، والمكان واحد، من الماء للماء، من الخليج إلى المحيط، ولكن الاختلاف موجود، وتتنازع المكان أسئلة وأجوبة تخلق جروحاً وناراً للذات الشاعرة.» (البستاني، ٢٠٠٧: ١٠)، وهذا التحوّل يظهر مثلاً في قصيدة "قمر العراق" على نحو واضح:

«وأسئلة الشام، / أجوبة النيل، / كانت تراود روعي، / حوار جريح يحترّض نار جروحي.» (البستاني، ٢٠١٢:

رغم أن الشاعرة تذكر حبّها للعراق أثناء شعرها دوماً؛ لكنها لم تتمكن من اغماض العين على حبّ البلاد العربية أبداً. قد تغلغلت أوجاع البلاد العربية في نفس الشاعرة واستوطنت في مخيلاتها. نفس الشاعرة اليوم تعترى بمعاناة المنطقة العربية التي ينبض حبّها في قلبها وتكتوي بمواجعها مما يحيق بها في تصدّيها للعدوان الشرس. جعل الحبّ القومي الشموليّ الشاعرة حزينّة من الوطن العربي وقلقاً عليه من أجل مواجهته الأحداث الجسام، لذلك تصرخ البستاني من وجود هذه الأحداث التي أوجدتها الطغاة والسفاكون لدماء الأبرياء في البلاد العربية، وحبّها للبلاد العربية يدلّ على أنّها تُريد أن تحتضنّ آلام الأمة العربية بأسرها ممّا يجري في الجزيرة العربية وفلسطين وسوريا ولبنان:

«إنّني أبصرُ راياتِ بني حمدانٍ/ تحتضُّ على جرحِ الرجالِ/ وأرى سربَ القطا المذبوحِ في ليلِ الجزيرة.. / وعصافيرَ الهوى المحروحِ حولَ القدسِ/ والجولانِ والدلتا الأسيرة.. / وأنا ألمحُ قطعانَ المها المطغونةِ الأحداقِ/ في لبنانَ، من يجتثُّ حزني؟! / إنّي أصرخُ من هوةِ هذا المنحدرِ.» (المصدر نفسه: ٤٨٤)

كلّ ما يزعج الشاعرة ويجعلها (تصرخ من هوةِ هذا المنحدر) أمام قضايا الوطن العربي هو المجد والشرف العربي المنتهك على الأرض العربية من أقصاها إلى أقصاها جزاء الحالة المتردية الراهنة على الرغم من أنّها كانت تشرق بين الحضارات كالشمس المضيء. فالشاعرة «تجسّد لنا انتهاك وتمزيق هذا الشرف بالثياب وتعطيها دلالة سلبية معلقةً ومنشورة.» (شكري هياس، ٢٠١٢: ٢٥٧)، فتقول:

«وفي المغرب العربيّ وجدّثُ ثيابي/ معلّقةً فوق صاريةٍ،/ وثيابي على جبلِ الشيخِ في الشّامِ/ منشورةً،/ فوق جبلٍ يخطُّ حدودَ هويةِ أهلي/ بينَ البنفسجِ والنارِ،/ بينَ المدى والقتيلِ.» (البستاني، ٢٠١٢: ٣٢٣)

من الواقع أن شعر الشاعرة يفتح آفاقاً إلى الشعور الإنساني وقضايا إنسانية رحبة أوسع نطاقاً من أرض الشاعرة. من هنا يتجلى لنا أن موقف الشاعرة ليس من قضية وطنها فحسب، بل من الأرض العربية بأسرها. فكلّ إنسان يستطيع رؤية همومه في مرآة شعر الشاعرة. إنّها بوصفها أنثى وأمّ تريد أن تحتضن آلام أبنائها في أرجاء الوطن العربي وهذا ما نراه واضحاً حينما تمهدي الشاعرة بعض قصائد الدواوين إلى شهيدات الفلسطينيين والوطن العربيّ والعالم، ومن ثمّ قصائد أخرى مهدّاة إلى الفتيات والنساء اللاتي يشاركن هموم الشاعرة وآلامها.

من المدن العربية التي لم تغب عن أوراق قصائد بشرى البستاني هي بيروت، فهي لا تنسى ولن تناسي بيروت الحبيبة، واختصت قصيدة تحمل عنوانها "بيروت". إن الشاعرة تطلق كلماتها رصاصاً على نحر قوأت الاحتلال الاسرائيلي الصهيوني في بيروت لما حلّ بهذه المدينة من معاناة وسحق للإنسان العربي، ومن قولها:

«بيروتُ تنشُّرُ وجهي على حافةِ الجُزْفِ،/ تنشرُ مَوَالٍ حيي على كتفِ دَبَابَةِ غازيةٍ.. / وبيروتُ تستلبُ البحرَ زُرْقَةً/ وتنامُ على الشطِّ مذبوحةً عاريةً...» (البستاني، ٢٠١٢: ٤٧٦)

٣-٤ الإشادة بالمقاتلين والشهداء

«من المفردات التي أدخلتها المقاومة الإسلامية في قاموس الشعر، هي مفردة "الشهادة"، فقد انتصرت المقاومة الإسلامية بالشهادة وقطفت ثمرة النصر على أكتاف الشهداء، وانطلقت لتحقيق أهدافها الإلهية على ظهر بارحة الشهادة. إذا كان الجهاد فرضاً شرعياً، فإن الاستشهاد ثمرة المعرفة اليقينية، فالذي يدفع المجاهد لأن يبذل نفسه ويضحى بدمه إيمانه العميق بأن أداء هذا الواجب لن يضيع سُدَى، وإنما أجره جزيل عند ربه: ﴿وَلَكِنَّ فُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾» (زعر، ٢٠٠٨: ٤)

«الشهادة ليست مجرد موت يذهب بحياة الإنسان فيفقد معها الجسد الروح التي كانت تسكنه، وإنما هي رحمة ودعوة، وحرب على العدوان، وليس فيها ظلم ولا إرهاب، فيها تحفظ دماء المسلمين وغير المسلمين لأنها تدفع الظلم والبغي، وتكسر شوكة الكفر والطغيان، وتهدم مواخير الفساد والمفسدين، كما أنها في المقابل تؤسس لدولة العدل والحق والحرية التي تحفظ حياة ودماء المستضعفين.» (المصدر نفسه: ٤)

لاشك أن شعراء المقاومة طليعة الشعراء الآخرين برثاء أبطال الشعب والأمة الذين جادوا بأرواحهم فداءً للكرامة على طريق التحرر وبناء المجتمع الجديد والغد الأفضل. الشاعرة بشري البستاني بوصفها شاعرة المقاومة لم تغمض العيون على الإشادة بالموت البطولي ومن قولها:

«كلَّ ليلٍ أَلَفَ مرَّةً.. / نرتمي في ذمّةِ الجبلِ المدلَّى.. / نعبُدُ الموتَ على أذْياله.. نجُثو.. نصَلِّي..» (البستاني،

٢٠١٢: ٦٣٩)

ففي هذا المقطع الشعري تؤكد الشاعرة على حقيقة الأمة العراقية وهي أنها أمة موت أي أنها مولعة بالاستشهاد من أجل قضايا وطنهم، حيث صار الموت والشهادة أحد أركان صلواتهم في معركة المصير لأنها أمة تنشُد الحياة من خلال الموت، فقد حثّت على الشاعرة أن تدعو لها بالعبادة والتصليّة.

يلزم الإشارة إلى أن هذا الموت البطولي والاستشهاد الذي يتّسم به العراقيون، لا يقتصر على الزمن الحاضر

فحسب، بل الشاعرة تعرف أن دم الشهادة كان جارياً في أبدان العراقيين منذ العصور القديمة، فتقول:

«من ألفِ عامٍ/ ترقصُ الأضواءُ،/ والألوانُ،/ والأقداحُ،/ من توقِ الخيولِ إلى الرّحيلِ..» (المصدر نفسه:

تؤمن الشاعرة أن الموت مصير كل ما يعيش في هذه الدنيا، ولكنها تدرك أن الاستشهاد هو أعلى الدرجات عند الله، لذا تكون أمانيتها في هذه الدنيا، أن تشارك في ساحات الدفاع عن أرضها ووطنها، فتراها تقول:

«لو أني أعرف حمل السلاح/ لو أنك أهديتني بُندقية/ لكنك حميته حديقة قلبي.» (المصدر نفسه: ٥٨٠)

فالقارئ لهذه الأبيات يشعر بعزم الشاعرة على الحضور في جبهات القتال حتى تصل إلى درجة الشهادة. والدليل على إصرار الشاعرة على القتال والشهادة هو أن الشهيد لا يموت أبداً علماً بمنزلة الشهداء في اللجنة مكللين بالورود، بل إن العدو يموت موتاً حقيقياً وإن كان حياً في الدنيا ومن قولها:

«أمريكا.. ستنهض دوحه البستان،/ تذهب للحنان بلا كفن.../ لكن فجرك آفل..» (المصدر نفسه:

(٢٨٤)

الشهادة في قاموس الشاعرة ليست موتاً يفرضه العدو على المجاهد، بل الشهادة اختيار واع يتقدم المجاهد نحوه بكل طواعية وإدراك ووعي. ترسم البستاني في المقطع الشعري التالي من قصيدة "مائدة الخمر تدور" كيفية استقبال المناضلين والثوار المقاومين نحو الشهادة، فانهم يتسابقون من أجل أن يبنوا قباب المجد ويرسموا بدمائهم آمال الشعب، لذلك يركضون نحو درب الشهادة متطوعين:

«السملك الأخضر يعدو في القلوات/ يتلغ الأوثان/ يبدل خارطة الألوان/ ويرسم أخرى تنفر من أتملة الريشة/ تھوي في قاع اللوحة/ تتركها/ وتكسر ما خطته الأطر الغبراء.» (المصدر نفسه: ١٦٠)

تصف البستاني في هذه الأبيات الشبان المقاومين الذين يركضون نحو حدود الوطن متطوعين حتى يحافظوا على خريطة الوطن الأم. إنهم يتسابقون نحو إخماء مشروع المحتل المشبوه ويقوموا بتحطيم الأوثان التي أتى بها المحتل. الشهداء في ذاكرة البستاني هم الذين لن يموتوا أبداً، بل إنما يتمتعون بعيش مفعم بالسلام بعد الشهادة من أجل خيارهم الاستشهاد الفردي على الهلاك الجماعي وبناء حضارة الغد الأفضل، كما قال الله عز وجل في كتابه عن مكانة الشهداء عنده وجعلهم أحياء عنده. (سورة آل عمران: الآية ١٦٩) فنسمع الشاعرة كيف تصف لنا حياة الشهداء بعد استشهادهم، فالإمام الأخضر، والطل الأخضر كلها رموز للحياة التي تغلف قبورهم وأرواحهم المتمثلة:

«قبور الشهداء/ تنهض في الفجر،/ وتهبط للنهر،/ يمام أخضر يتبعها،/ ويحف بها الترحس/ يبتال عليها الطل

الأخضر.» (البستاني، ٢٠١٢: ١٠٩)

ففي هذه الأبيات نجد تناصاً ضمناً مع الآية الكريمة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عند ربهم يُرزقون﴾. (آل عمران: ١٦٩) ولعل الشاعرة تناصت مع الحديث الشريف من رسول الله حينما يقول:

«لما أصيب إخوانكم، يجعل الله أرواحهم في أجواف طيرٍ خضيرٍ، ترد أثمار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهبٍ معلقة في ظل العرش. فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومبيتهم، قالوا: من يُبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق.» (الكناني، ١٩٨٧: ١٦٤)

الشهادة من منظور الشاعرة البستاني هي الطريق الوحيد للنصر والتمكين، ومعتقدة أن العراقي لا يولد ولا يصل إلى الكرامة إلا من رحم الشهادة، فترى هذه الفكرة لدى الشاعرة إذ تقول:

«يا قمرَ الجبالِ.. عرَّجْ على السفوحِ.. / فوجهُكَ الفَتَّانُ.. / يولدُ في الجروحِ..» (البستاني، ٢٠١٢: ٣٢٧)

الشاعرة البستاني بوصفها امرأة لا تنسى النساء الشهداء أبداً، إنها أنشدت قصائد عديدة أهدتها إلى شهيدات العراق وفلسطين والعالم، فنجدها في قصيدة "الشاعرة" التي تهديها إلى الشهيدة الدكتورة باسمه سعيد، تصف حالة الشهيدة بعد الشهادة:

«طلقةٌ أم شظيةٌ / وقبعةٌ همجيةٌ... / لم تجدْ بُرْهةً لتسائلَ كَفَّ الجناةِ / وغابت على أذرع الطيرِ / يحْمِلُنَّها بعبيرِ الشهادةِ / باسمهٌ / هاديةٌ.» (المصدر نفسه: ٢٨٥)

فهذه الأبيات هي حالة الشهيدة مبتسمة هادئة التي تفصح عن عظمة الشهادة والشهداء. وجدريُّ بنا الإشارة إلى أن الشاعرة كلما تتحدث عن الشهيد، تصفه بوجه منير ومشرق يستنير به أبناءه لدرب الوطن ومن قولها:

«يزدهرُ الشهداءُ بِجُلَّةِ جناحهم / تشهَى الملائكةُ الأرضَ.» (المصدر نفسه: ٥٢٠)

وفي مقطع آخر تقول:

«ويطلُّ وجهك يفتُحُ كهفَ الجناةِ، / ويطلُّ وجهُ الفدائيِّ يفتُحُ بابَ دمشق.» (المصدر نفسه: ٥٦٠)

٣-٥ إدانة الأنظمة الظالمة وحكام العرب

من المظاهر البارزة الأخرى التي تتبلور في كثير من قصائد البستاني المقاومة هي إدانة سلوك الأنظمة العربية وحكام العرب من قبل الشاعرة؛ الذين خانوا شعبهم وتآمروا على الوطن العربي. إنَّها تُدين «الأنظمة التي هادنت عدواً تاريخياً استيطانياً يوم صافحته بالصلح، ويده ملطخة بدم الجريمة، دم شعب بريء كامل، ولما كانت تدرك أن أحداً من رجال السلطة لن يتحمل تبعات هذه الجريمة.» (الحياني، ٢٠٠٨: ٢٩٥) ومن قولها:

«إسرائيل تتحوَّل في شوارع المدينة / أنا أتحوَّل في شوارع المدينة / صدَرَ بيانٍ ينكُرُ ذلك.. / لماذا يتدخَّل

الآخرون.» (البستاني، ٢٠١٢، تُحاسية الحنة: ٢٤٩)

وكذلك ألفت الشاعرة اللّوم على مسئوليات الحكام وندّدت أساليبهم في تثبيت سرير القدرة دون مبالاة بحقوق الشعب العراقي والوطن العربي. فالحكام المستبدّون من منظار البستاني هم الذين لحقوا بالعراق بالبلاء والتخلف والتدمير لأجل نشاطاتهم التأميرية، فهي تشير دورهم المشبوه في التواطؤ مع قوات المحتل والاستعمار:

«الحداثة،/ الحداثة،/ الحداثة يصيحون بالمبدلين الذين/ يجزّون شَعَرَ الغزال،/ الغزال مُسحّي على قاع رمل الخليج.» (البستاني، ٢٠١٢: ٣٢٧)

لقد رسمت لنا الشاعرة في المقطع الشعري السابق صورة الحكام المتخاذلين، الذين خيم عليهم الصمت المطبق أمام قضايا شعبهم ويدعون الكذب بأنهم يبذلون قصارى جهدهم لردّ العدوان وصدّ الطغاة. البستاني تعتقد أن هؤلاء الحكام هم الذين قادوا الشعب العراقي إلى غياهب التهلكة وجُحَب الدمار، وهم الذين تآمروا على "الغزال" (العراق)، حتى أصبحت ظروف العراق مستعدّة للدمار والظلام (القاع).

يلزم بنا الذكر أن الشاعرة بوصفها جامعيّة ومن أصحاب الثقافة العراقية، ترى ما لا يراه مواطنوها. تتخذ الشاعرة موقع الراصد في شعرها من خلال استخدام فعل (أصعد) «لتسند اشتغالات قوى المخيلة إلى عملية الترقب ولترسم رفضها عبر صور من صفحات الحيانة في عصر الخراب الكبير (ذمها تشتري/ وشعوباً تباع) ولتعبّر عن حركية معنى الضياع عبر عملية البيع في سوق الخسارة التي حدثت في الماضي وتحدث الآن.» (عمر، ٢٠٠٨: ١٧٧) ومن قولها:

«أناوي إلى القاع،/ أصعدُ عبْرَ الجذوع،/ أرى ذمّاً تُشتري/ وشعوباً تباع.» (البستاني، ٢٠١٢: ٣٢٥)

وأما من أجل القصائد التي ترسم لنا الشاعرة صورة الأنظمة العربية والحكام المتآمرين فهي قصيدة "مكابدات ليلي في العراق". هذه القصيدة «هي رسالة الشاعرة لكل الأنظمة العربية التي ساهمت في تقديم العراق العربي بكل شموخه وتاريخه الحضاري الباذخ وعملت على تسليمه للمحتلّين الحاقدين على العروبة والإسلام والإنسانية النبيلة من أمريكا والصهيونية وغيرهم من خونة الشعب العراقي بعد أن أذاقوا شعبه الصابر في سنين الحصار أمرّ الجوع والمرض والعذاب.» (الطالبي، ٢٠١١: www.azzaman.net) ومن قول الشاعرة في هذه القصيدة:

«يا ابن العمّ/ ها هُم كلُّ فتیان العشيّرة/ يُرخون من حولي الأعنة/ ويزعمون بأنهم حولي/ فتیان العشيّرة...!/ صمّ وبكمّ./ آ.../ عمي كلُّ فتیان العشيّرة...» (البستاني، ٢٠١٢: ٤٢٣)

تبلغ مأساة الحكام ذروتها في ذاكرة البستاني عندما ترى الإنسان العربي قبل الإسلام وبعده التحلّي بالخلق الكريم والنبيل والعفة، لكنهم فقدوا هذه القيم الأخلاقية على مرّ العصور، واتخذوا منهج الغدر والحيانة من قبل

الشعب وسببوا تمزيق شمل المجتمع وتحلل القيم السائدة والمبادئ السامية؛ لذا ذات الشاعرة تجد الحاضر العربي المليء بالخيانة والغدر، وهذا ما يظهر في قصيدة "أندلسيات لجروح العراق" على نحو جلي:

«بغدادُ.../ اللوعاثُ.../ العبراثُ.../ الطعناتُ.../ ظهرُكُ ينزفُ.../ مفتاحُكُ ثانياً في جيبِ الأمريكيِّ/
يخصِّبُ الدَّمُ.../ يا ويلي.../ قمرُ الحلمِ/ صارَ وسادةً.../ وعظامُ الأطفالِ وقودُ.» (المصدر نفسه: ١٢٣)

تتكى الشاعرة في هذا النص الشعري على الموروث التاريخي، وتريد أن تشير من خلاله إلى خيانة الذين يملكون مقاليد قضايا شعوبهم، ولكنهم بدل الحفاظ عليها يسلمونها هديةً للاعداء، كما فعل العلقمي وزير المستعصم بالله في الأمس وأعطى مفاتيح بغداد للترت. (ابن خلدون، ١٩٨٨، ج ٣: ٦٢٢) النص الشعري يجسد «خيانة وكارثة دموية جعلت البشر وقوداً لنار اندلعت ولن تخمد مع التركيز على حالة الغدر من قبل حكام تأمروا على العراق (ظهرك ينزف)، فالطعن لا يأتي إلا من جبان غادر يسفك الدماء ليصل إلى غايته.» (شكري هياس، ٢٠١٢: ٢٩٠)

الشاعرة البستاني، بعد أن تذكر المواجه التي كانت وليدة الخيانة والمؤامرة بالأمس، تنادي حكام العرب

المعاصرين:

«أهدأ زماناً الرجوع.؟/ إذنُ. / أنتَ تكئبُهُ،/ وتهادنُ سرّاً بجرُّفنا،/ لا نبوحُ به.» (البستاني، ٢٠١٢: ٣٣١)
فضلاً عن ذلك، إن هؤلاء الحكام لأجل انغماسهم في الملذات الدنيوية، نسوا ما فعل الشبان المقاومون في ساحات القتال مع الطغاة، وبالتالي لم يقوموا بثأر دم الشهداء الذين جادوا بأرواحهم في سبيل الوطن:
«وأنتمو.. رجالَ هذا الحيِّ يا نيام.. / مرَّ بكم موزعُ البريدِ قبلَ عامٍ.. / وقالَ ما قالَ عن الرُّهورِ في مفازة الأُمِّ.. / وعن عُصونِها الريفةِ الظلالِ.. / يدوشها الطغاةُ..» (المصدر نفسه: ٦٣٨)

فالقارئ المتتبع لشعر البستاني، يشعر بأن روح الشاعرة تكره الحكام المتآمرين وأعداء إنسانية الإنسان، ويعرف أيضاً من خلال الشعر أن الشاعرة من أشد معارضات لأيّ اتفاق سلام مع العدو الأميركي والصهيوني من قبل قادة الشعب، لذلك فإن المقاومة والجهاد هما السبيلان الوحيدان اللذان تقدّمهما الشاعرة لمعضلة حكام العرب الذين لا يقيمون لشعوبهم أوزاناً:

«يا قمرَ المنفى،/ عرِّجْ على البيوتِ.. / فوجهُكُ الأبهى.. / ياقوتةٌ تموتُ.. / يا قمرَ الصحراءِ.. / عرِّجْ على الواحاتِ.. / فوجهُكُ الوضاءِ.. / يذبلُ في الفلاة.» (المصدر نفسه: ٣٣١)

إن كلمة "القمر" في تاريخ الشعر الإنساني هي رمز الإلهام وهو بالنسبة للشاعرة هنا "قمر المنفى/الصحراء" رمز العراق. تنادي البستاني أبناء الوطن بإلحاح للعودة من المنفى إلى بيوتهم وتحذّره من البقاء في يد القتل في

الفلاة، لذلك تبذل قصارى جهدها لدعوة الأبطال العراقيين إلى واحات المقاومة حتى تعود إلى هذا الوطن الخصب والحياة والحب عبر الثورة والجهاد.

٤- نتائج البحث

يمكننا أن نلخص نتائج هذا البحث فيما يلي:

- يعتبر أدب المقاومة أبرز مكانة من أنواع الأدب في العراق اليوم، لأجل مواجهته التحديات المختلفة التي كانت وليدة الديكتاتورية والاحتلال والسلب والرعب والإرهاب وما إلى ذلك.
- يعدّ حبّ ثرى العراق والبلاد العربية من الحوافز الرئيسة في شعر المقاومة عند البستاني وهذا من أجل نزعة الشاعرة الإنسانية والشعور بمسئوليتها أمام أبناء شعبها. ومن أجلهما تؤكد البستاني أنّ ذاتها لا يلحق بالكمال إلا بالتوحد مع العراق والوطن العربي.
- شعر المقاومة عند البستاني لا يعرف الكراهية لأنه يركز على الحب. لقد مزجت البستاني الحبّ بالمقاومة في شعرها وربطته ربطاً محكماً بمقاومتها، لأن مقاومتها تتولّد من الحبّ بالشعب العراقي والوطن العربي.
- رغم أن شعر المقاومة عند البستاني يُعرب عن مصائب يعاني منها الشعب العراقي اليوم، لكنّه يومض الأمل والحياة في أعماق القصائد ولا يعرف الموت لأن هدفه الحياة.
- الطريق الوحيد للمقاومة لدى الشاعرة هو التشبّث بالأمل وبكلّ ما ينتمي إليه، ويكون شعر المقاومة عندها على العموم متفائلاً.
- المقاومة في رؤية البستاني نعمةً هبةً خلقها الله في ذات الإنسان منذ أول الخلق، لذا ترى المقاومة هي الحلّ الوحيد أمام تأمر الأنظمة الغاشمة الغربية والحكام العربية الذين خانوا على شعوبهم وسبّوا اندلاع نار الحرب على الشعب العراقي والبلدان العربية.
- من المناهج التي تستخدم الشاعرة البستاني لاستنهاض شعبها العراقي إلى المقاومة هي تذكّرتهم بماضيهم المجيد الذي كان متّسماً بالحضارة الباذخة الراقية وحاضرهم المليء بالحروب الأهلية الدامية. وإلى جانب هذا الطريق تقوم بتحذيرهم على نسيان التعاليم المقدسة التي كانت سائدة من قبل في الأمة الإسلامية.
- تعتقد الشاعرة أن التبجيل بأبطال المناضلين العرب الذين جادوا أنفسهم فداءً لبناء الغد الأفضل يسبّب بعث روح المقاومة والنضال في ذات المقاومين الآخرين عند معركة مصير الغد.
- تقوم البستاني لترسيخ آرائها عند فئات الهدف، باستحضار الآي القرآنية واستدعاء الشخصيات المسلمة التي تكون قدوة للمقاومة أمام الاضطهاد ليكون ضماداً على آلام المناضلين في ساحة المقاومة ودافعية لاستمرار الجهاد المقدس على متعدي حقوق المواطنين الشاملة.

- ترى البستاني أن الحرب من أشدّ الويلات على الإنسان فتكرهها كرهاً صادقاً. تتخذ البستاني أمام الحرب موقف المقاومة وتعتقد أن نار الحرب لا تطفى إلا بسيادة الحبّ والقيم الجمالية لذلك تدعو إلى إقامة أعمدة الحبّ والجمال بدل المحاربة.

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم

أولاً: الكتب

- ابن خلدون، عبدالرحمن. (١٩٨٨م). تاريخ ابن خلدون، المجلد الثالث. المحقق خليل شحادة. الطبعة الثانية. بيروت: دار الفكر.
- أبوحاقة، أحمد. (١٩٧٩م). الالتزام في الشعر العربي، الطبعة الأولى. بيروت: دار العلم للملايين.
- ابن منظور الأنصاري، محمد بن مكرم بن علي. (١٤١٤هـ). لسان العرب، المجلد الثالثة عشرة. الطبعة الثانية. بيروت: دار صادر.
- البستاني، بشري. (٢٠١٢م). الأعمال الشعرية، الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- البستاني، بشري. (٢٠١٢م). ثمّاسية المحنة، الطبعة الأولى. عمان: دارفضاءات للنشر والتوزيع.
- زعرب، أحمد موسى. (٢٠٠٨م). الشهادة وتجلياتها في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد عام ١٩٦٧م، رسالة الماجستير. غزة: الجامعة الإسلامية.
- سنكري، محمدرضا. (١٣٨٩ش). ادبيات دفاع مقدس، چاپ اول، تهران: بنياد حفظ آثار و نشر ارزش های دفاع مقدس.
- شكري هياس، خليل. (٢٠١٢م). ينابيع النص وجماليات التشكيل قراءات في شعر بشري البستاني، عمان: دار دجلة.
- شكري، غالي. (١٣٦٦ش). ادب مقاومت، ترجمه محمدحسين روحاني. تهران: نشر نو.
- شكوي، حسين. (١٣٨٧ش). اندیشه های نو در فلسفه جغرافيا، تهران: موسسه جغرافيايي و كارتوگرافي گيتاشناسي.
- الكناني، أسامة بن منقذ. (١٩٨٧م). لباب الآداب لأسامة بن منقذ، المحقق أحمد محمد شاكر. الطبعة الثانية. القاهرة: مكتبة السنة.
- محفوظ، محمد. (٢٠٠٣م). لواقع العربي و تحديات المرحلة الراهنة، بيروت: دار المشرق الثقافة.

ثانياً: الدوريات والمجلات

- البستاني، بتول. (٢٠٠٧م). قصيدة بانتظار القصف للشاعرة البستاني قراءة في محنة الحرب، مجلة دراسات موصلية. العدد ١٧. صص: ٢٨-٣.
- التميمي، حسام. (٢٠٠٢م). الخليل في شعر عزالدين المناصرة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث. المجلد ١٦. العدد ١. صص: ٢٦٤-٢٢٣.
- الحياني، محمود خليف. (٢٠٠٨م). استكشاف الكينونة ونهوض الإرادة قراءة في قصيدة أنا والاسوار للشاعرة بشرى البستاني، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية. المجلد ١٥. العدد ١. صص: ٢٨٦-٣٠٩.
- حسن، غانم سعيد. (٢٠٠٧م). دلالات الرمز في خطاب بشرى البستاني الشعري، مجلة دراسات موصلية. العدد ١٧. صص ٤٧-٦٦.
- سنكري، محمدرضا. (١٣٨٣ش). ادبيات پايدارى، فصلنامه شعر. العدد ٣٩. صص ٤٥-٥٣.
- عمر، عبدالغفار عبدالجبار. (٢٠٠٨م). الرفض في مجموعة (مكابدات الشجر)، مجلة التربية والعلم. المجلد ١٥. العدد ٢. صص ١٦٩-١٨٦.
- عبد، ياسر على. (٢٠٠٧م). الوطن في شعر أبي الفراس الحمداني وحازم القرطاجني، مجلة القادسية. العددان ٣-٤. صص ١٠١-١١٠.

ثالثاً: المراجع الإلكترونية

- الطائي، ذنون. (٢٠١٠/١٠/٣١م). سيدة القصيدة العراقية الدكتورة بشرى البستاني، موقع ملتقى أبناء الموصل

www.mosul-network.org/index.php?do=article&id=١٨٤٦٢

- الطالبي، علي مولود. (٢٠١١/٨/٢٨م). بشرى البستاني: العراق وطن استثنائي ولذلك كان حبي له إستثنائياً، المقابلة مع بشرى البستاني، موقع الحوار المتمدن، العدد ٣٤٧٠.

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=27321

- الطالبي، علي مولود، (2011/02/08م). لو كانت ثقافتنا حديثة لصنعنا نقدنا الخاص، موقع الزمان، www.azzaman.net/index.asp?fname=2011%5C02%5C02-08%5C699.htm&storytitle

- عبدالقادر، حسام. (٢٠٠٤م/٢/١). المقاومة في الأدب، الفكرة والابداع، مجلة أفق الثقافة.

www.ofouq.com/today/modules.php?name=News&file=article&sid=١٠١٤

- قاف العراق. (٢٤/١١/٢٠١١م). أدب المقاومة، قراءة تاريخية، شبكة كتّاب المقاومة العراقية.

www.kutab-iraq.net/vb/showthread.php?t=٢٦٦٥

- موقع الشاعرة على الشبكة الالكترونية، تجربتي الإبداعية .

www.bushra-albustani.4t.com

فصلنامهٔ لسان مبین (پژوهش ادب عربی)
(علمی - پژوهشی)
سال هفتم، دورهٔ جدید، شمارهٔ بیست و سوم، بهار ۱۳۹۵

ادبیات پایداری در شعر بشری البستانی*

سردار اصلانی، استادیار گروه زبان و ادبیات عرب دانشگاه اصفهان

محسن غلامحسین کهوری، دانشجوی کارشناسی ارشد زبان و ادبیات عرب دانشگاه اصفهان

چکیده

دکتر بشری البستانی به عنوان استاد دانشگاه و متفکر ادبی، یکی از زنان ادیب و متعهد معاصر عراق است که اثر بارزی در فرهنگ عراقی به طور خاص و فرهنگ عربی به طور عام از خود به جای گذاشته است. وی با آثار وزین خود ارزش های بیانی و زیبایی شناختی والایی در گستره ادبیات پایداری و ادبیات عرب بر جای نهاده است. بستانی در هیاهوی "صدای گلوله و مواد منفجره" به دردهای امت خویش پرداخته تا وجدان خفته مردم خویش را بیدار، و آنها را به رها کردن ترس و درنوردیدن مشکلات در رویارویی با دشمن تشویق کند. بستانی در اعماق مسائل ملت عربی فرو می رود و زخم خود را با زخم سرزمین مادری و ملت عربی در هم می آمیزد، تا بیانگر عشقی به آنها باشد، که بر خواننده آشکار و ممزوج با درد، آرزو و خوش بینی به وطن و امت عربی است. این جستار با نگاهی گذرا بر حیات و آثار شاعر کوشیده، تا مهم ترین مضامین ادبیات مقاومت همانند: عشق به سرزمین مادری، دعوت به جهاد و مقاومت، تعهد قومی نسبت به سرزمین عربی، ستایش انقلابیون و شهدا و انتقاد از حاکمان خودکامه عرب را در شعر بشری بستانی با تکیه بر منهج توصیفی - تحلیلی، بررسی نماید.

کلمات کلیدی: بشری البستانی، عراق، ادبیات متعهد، ادبیات پایداری.

تاریخ پذیرش نهایی: ۹۴/۰۶/۰۳

* تاریخ دریافت: ۹۳/۰۹/۳۱

نشانی پست الکترونیکی نویسنده: sardareaslani@yahoo.com